الملاحظات

نزل "لوح التجليات" في حق الأستاذ علي أكبر البنّاء بعد "الكتاب الأقدس"، حوالي عام ١٣٠٣هـ (١٨٨٥-١٨٨٦م)، وهو من مؤمني يزد ومعروف بقوة إيمانه وإخلاصه والذي فدى بنفسه أخيراً مستشهداً في سبيل مولاه. كان مقاول بناء ذائع الصيت، يحظى باحترام كبير في الأوساط الحكومية، وغالباً ما اشتغل بأعمال إنشائية لحساب حاكم يزد ومسؤولين على مستوى رفيع.

حينما آمن الأستاذ علي أكبر بأمر الله تشرّب وجوده بروح الإيمان، فاستنارت روحه بحبه الشديد لحضرة بهاءالله، وأصبح نجماً لامعاً بين أفراد جامعة الأحباء في يزد، فأثار تفانيه في خدمة أمر الله وحماسه في تبليغه عواطف رجال الدين المتعصبين وغضبهم مما حملهم على إصدار فتوى قتله. كان ذلك عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) حينما كان النبيل الأكبر قد ذهب في زيارة إلى يزد. ونظراً للعلاقة الودّية التي كانت تربط الحاكم بالأستاذ علي أكبر، فإنه نصح الرجلين بمغادرة المدينة فوراً حفاظاً على سلامتهما، فذهبا إلى إصفهان وبقيا بضعة أيام في منزل "سلطان الشهداء" و"محبوب الشهداء"، وتوجّه الأستاذ علي أكبر بعدها إلى طهران وبقي النبيل الأكبر في إصفهان.

كان الأستاذ علي أكبر متفانياً لأمر الله بحيث لم يقدر أن يمسك نفسه عن تبليغه. فعلى الرغم من أنه كان غريباً في طهران، فقد نجح في تبليغ بعض النفوس

وتمكنوا من اعتناق أمر الله. مكث في العاصمة تسعة أشهر ثم عاد بعدها إلى مسقط رأسه في يزد. لدى عودته بدأ أعداء أمر الله بتحريض السلطات على أمل القضاء عليه. فأصدر رجال الدين مرة أخرى فتوى قتله وسلموها إلى الحاكم لتنفيذها، ولكن سيرة الرجل، سواء في مجال إخلاصه وكفاءته في عمله وخدماته أو حسن أخلاقه ولطفه، قد قربته إلى قلوب رجال السلطة وكبار المسؤولين الذين سارعوا إلى حمايته. مع ذلك فإن حياته ظلت في خطر حيث إن الأعداء، بعد فشلهم في حمل السلطة على قتله، استمروا في تآمرهم بجد لاغتياله. ولعدة سنوات كان هدفاً لكثير من المؤامرات، إلاّ أن الله حفظه ليقوم بمهام أجل وأعظم في مستقبل الأيام، وفعلاً تمكّن خلال هذه الفترة من هداية نفوس كثيرة لأمر الله.

يجب أن نتذكر هنا بأن كل المؤمنين، خلال العصر البطولي من تاريخ أمر الله، قد عاشوا وكافحوا في ظروف خطيرة للغاية، وكان الخطر يهدد الرجال منهم أكثر من النساء إذ إن المجتمع آنذاك لم يكن يشجع خروج المرأة من البيت الذي كان عادة مجال حياتها الطبيعي، أو الظهور في المجتمع. وعليه لم يكن أي بهائي يضمن عند خروجه صباحاً من منزله، بأنه سيعود حياً مساءً. وكان ذلك ينطبق أكثر على أولئك المؤمنين المتعلمين والمعروفين بنشاطهم في مجال التبليغ، وكان الأستاذ علي أكبر بالتأكيد واحداً من هؤلاء. خلال السنوات القليلة التي عاشها في يزد وقعت له عدة حوادث محفوفة بالمخاطر. أخيراً، بعد مشورة الأفنان، تقرر أن يذهب الأستاذ علي أكبر إلى عشق آباد، فوصل إلى هناك في سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣-١٨٨٤م).

كان بعض أفراد عائلة الأفنان قد أبدوا اهتمامهم لفترة من الوقت بمدينة عشق آباد. فقام الحاج ميرزا محمد علي، ابن خال حضرة الباب، بشراء بعض الممتلكات في تلك المدينة بناء على نصيحة من أخيه الأصغر الحاج ميرزا محمد تقي[١] الذي كان آنذاك مقيماً في يزد. عندما علم حضرة بهاءالله بمعاملة شراء ذلك الملك أمر بشراء قطعة معينة من الأرض هناك من شخص يدعى "أعظم" وتخصيصها لغرض إقامة مشرق أذكار في عشق آباد. فتم ذلك فعلاً حيث شيد في وقت لاحق أول مشرق أذكار في العالم البهائي على ذلك الموقع.

انشغل الأستاذ علي أكبر لمدة عامين تقريباً في بناء محلات تجارية وفندق ومنازل للأفنان. بعدها وصله إذن من حضرة بهاءالله للتوجه إلى عكاء للحج، فتشرّف بمحضره في سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥-١٨٨٦م). وكانت زيارته لمحضر مظهر أمر الله الأعظم قد تركت انطباعاً باقياً في قلب هذا المؤمن المنقطع. فزاد لهيب حبه لحضرة بهاءالله وتأجج شعلة هائلة. عاد بعد ذلك إلى عشق آباد ليضئ بنور الإيمان كل الذين التقى بهم. بهذه الكلمات يخاطب حضرة بهاءالله الأستاذ علي أكبر في "لوح التجليات":

"نشهد أنك أقبلت وقطعت السبيل إلى أن وردت وحضرت وسمعت نداء المظلوم الذي سجن بما اكتسبت أيدي الذين كفروا بآيات الله وبرهانه وأنكروا هذا الفضل الذي به أنارت الآفاق. طوبى لوجهك بما توجّه ولأذنك بما سمعت

وللسانك بما نطق بثناء الله رب الأرباب. نسأل الله أن يجعلك عَلَماً لنصرة أمره ويقرّبك إليه في كل الأحوال."

في عشق آباد قام الحاج ميرزا محمد علي، ابن خال حضرة الباب، بتمويل إنشاء مبنى من طابقين في ركن من أركان قطعة الأرض التي اشتراها من "أعظم" وحفظها بموجب أمر حضرة بهاءالله لتكون موقعاً لبناء مشرق أذكار في المستقبل. قام الأستاذ علي أكبر أولاً بإقامة بناء خصص ليكون مركزاً بهائياً سنة

الأستاذ علي أكبر البنّاء

مستلم "لوح التجليات" والذي استشهد في يزد عام ١٩٠٣م

١٣٠٥هـ (١٨٨٧-١٨٨٨م). في هذا المبنى كانت تقام كل الاجتماعات وحفلات الاستقبال لحين بناء مشرق الأذكار فيما بعد بفضل ما قدّمه الحاج ميرزا تقي، ابن الخال الأصغر لحضرة الباب، من جهود مخلصة وتضحيات.

ذهب الأستاذ علي أكبر للحج في الأرض الأقدس مرة أخرى خلال ولاية حضرة عبدالبهاء سنة ١٣١١هـ (١٨٩٣-١٨٩٤م). وفي تلك المناسبة قام، وفق توجيهات من حضرة عبدالبهاء الذي ابتكر تصميماً لبناء ذي تسعة جوانب، بوضع مخطط عام لملامح بيت العبادة الذي حظي بموافقة المولى. في آخر لوح إلى الأستاذ علي أكبر، يؤكد حضرة عبدالبهاء على أن هذا المخطط كان قد رسم أثناء وجود الأستاذ في الأرض الأقدس، ويطلب منه أن يرسل بضع نسخ منه إلى أحد أيادي أمر الله في إيران. إلاّ أن مهندساً معمارياً روسياً هو الذي صمم تفاصيل البناء ونفذها، وقد شرع به عام ١٩٠٢م عندما وضع حجر الأساس في احتفال مهيب بحضور ممثل القيصر، الجنرال كروباتكن، حاكم تركستان العام. يكتب حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، ما يلي في دلالة بيت العبادة هذا وأهميته التاريخية:

وأظهر من كل هذه الأعمال تشييد أول "مشرق الأذكار" في العالم البهائي بمدينة عشق آباد وهي مركز أمري أنشئ في أيام حضرة بهاءالله، كما أخذت التدابير الأولى الممهدة لتشييده في أيامه أيضاً. وبدئ العمل فيه حول نهاية العقد الأول من ولاية حضرة عبدالبهاء (١٩٠٢م) ورعاه في كل مرحلة من مراحل تقدمه، وأشرف عليه الحاج ميرزا محمد تقي وكيل الدولة الجليل، وهو ابن من أبناء خؤولة

حضرة الباب وهب كل موارده لتشييد مشرق الأذكار، ورفاته ترقد الآن بسفح الكرمل في ظل قبر قريبه المحبوب، ونفذت خطة مشرق الأذكار هذا انقياداً لتوجيهات مركز الميثاق نفسه، فقام شاهداً على إخلاص أحباء الشرق وإنكارهم لذواتهم حين عزموا على تنفيذ أوامر حضرة بهاءالله كما نزلت في الكتاب الأقدس، ولذلك يجب ألاّ يتبوّأ هذا العمل مكانة أول عمل عظيم قامت به جهود أتباعه المتضافرة في عصر البطولة المجيد لهذا الدين فقط بل أن يحتل مكانة عمل من أروع وأخلد الأعمال التي تمّت في تاريخ القرن البهائي الأول.

تولى الأستاذ علي أكبر دوراً قيادياً في تشييد بيت العبادة بعشق آباد، إلاّ أن إرادة الله كانت لها خطط أخرى له. فما كادت تمضي ستة أشهر على وضع حجر الأساس حتى تشرّف بلوح من حضرة عبدالبهاء يحثه على الذهاب إلى يزد في الربيع، ونصحه بعدم التردد أو تأجيل سفره. فشرع الأستاذ علي أكبر حالاً بترتيب أموره في ربيع عام ١٩٠٣م، وهكذا بعد عشرين عاماً من الغياب، وصل إلى مسقط رأسه. وتزامن وصوله مع فترة من النشاط غير عادية من أحباء يزد. فما بين ذهاب وإياب لبعض مشاهير المبلّغين، وازدياد نشاط الأحباء وحماسهم في تبليغ أمر الله، أثار وصول علي أكبر ضجة بين غير البهائيين، الذين نشروا إشاعات بأنه على وشك بناء بيت العبادة البهائي في يزد. أمّا سكان الأحياء المجاورة لبيته فقد أثار ذلك غضبهم بصفة خاصة، لأنه فيما مضى كان قد أفلح في إقناع نفوس كثيرة باعتناق أمر الله في تلك المنطقة.

في غضون ذلك أرسل حضرة عبدالبهاء جناب ابن الأبهر، أحد أيادي أمر الله، إلى يزد في مهمة خاصة. فعقدت اجتماعات كبيرة حفزت الأحباء ورفعتهم إلى آفاق عليا من الروحانية وأعدتهم على الخصوص للاستشهاد إذا تطلب الأمر. وبالتالي تأهب عدد كبير منهم للتضحية بحياتهم في سبيل الله. كان هذا في صيف ١٩٠٣م، بعد وصول الأستاذ علي أكبر ببضعة أشهر. عندها غادر ابن الأبهر يزد، وما كاد يصل إلى البلدة المجاورة حتى ثار في المدينة فجأة هيجان ضد البهائيين، وسرعان ما امتد إلى العديد من القرى المحيطة بيزد. كان هذا أعظم اضطراب يحدث في إيران خلال ولايتَي حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء منذ حمام دم طهران عقب محاولة الاعتداء على حياة ناصر الدين شاه عام ١٨٥٢م.

دام الاضطراب داخل مدينة يزد بضعة أيام، وكل بهائي وجد خلالها استشهد قتلاً. راح عدد كبير جداً من الأحباء ضحايا تلك المذبحة في سبيل أمر الله في ظروف مؤثرة جداً. في كتاب "تاريخ شهداء يزد" الذي نشر في القاهرة، وصف مسهب لاستشهاد هذه النفوس. وإنها لحقيقة معروفة أن قلة من الناس نجحوا في قراءة ذلك الكتاب بكامله، فما يحتويه من قصص تدمي القلب ألماً، لا يدع معظم قرائه للمضي في قراءة أكثر من بضع صفحات.

كان الأستاذ علي أكبر من بين الذين استشهدوا، عندما سددت إليه الطلقة القاتلة الأولى بيد أحد أقرب أقربائه. عندما سقط على الأرض صرخ: 'يا بهاء الأبهى!' بعد ذلك هاجمته حشود من الناس وهشموا رأسه بفأس، ثم ربطوا قدميه

بحبل وسحبوا جثمانه في طرقات المدينة حيث شارك مئات من الناس في قذفه بالحجارة وضربه. بعد ذلك أنزل جسده المشوه في بئر عميق مهجور على مشارف المدينة وألقيت فيه جثامين شهداء آخرين.

وهكذا انتهت حياة مؤمن خدم أمر الله بتفان مثالي وتضحية بالنفس. وعلى الرغم من أنه لم يتلقَ غير تعليم ابتدائي، لكنه ألف بعض القصائد الجميلة وكتاباً استدلالياً عن أمر الله (لم ينشر). كما أنه كتب وصفاً مفصّلاً عن الأيام الأولى لدخول أمر الله إلى عشق آباد ونموه فيها والذي لم ينشر بعد. أمّا إنجازاته في ميدان التبليغ فكانت متميزة حقاً. وفقاً لشهادته الخطية قبل استشهاده بحوالي سنتين، كان واسطة مباشرة لاعتناق ثلاثمائة نفس أمر الله بفضل جهوده التبليغية. كان الأستاذ علي أكبر بلا شك أحد النفوس المقربة إلى الله، ولقد أنزل حضرة بهاءالله في حقه سبعة وعشرين لوحاً. كما أن حضرة عبدالبهاء شرّفه بعدّة ألواح.

عندما استلم الأستاذ "لوح التجليات" كان مبهوراً به بنحو خاص إذ وجد أن حضرة بهاءالله قد أرسل إليه كذلك صفحات من نموذج من "الخط النزولي" برفقة اللوح المذكور. عند تنزيل الألواح كان ميرزا آقا جان، كاتب وحي حضرة بهاءالله، عادة يسجلها بيده حين النزول. لكن نظراً لسرعة نزول الآيات كان يكتبها بما عرف بالخط النزولي والذي كان عملياً غير مقروء.

مقام حضرة بهاءالله

في "لوح التجليات" يكشف حضرة بهاءالله عن لمحة من سناء ظهوره الأعلى، وفي بضع فقرات يمجد بعثة صاحب هذا الظهور بكيفية قد يجد بعض القراء صعوبة في تقديرها. ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن حضرة بهاءالله كثيراً ما يكرر في كتاباته موضوعاً معيناً، ولكن في كل مرة ينزله من جديد ويعبر عنه بطريقة مختلفة. إلاّ أن موضوعاً واحداً يظهر أكثر من سواه في كتاباته: لا يكاد المرء يجد لوحاً يخلو من تبيان عظمة ظهوره والإشارة لمقام صاحبه الأسمى.

وهذا الموضوع المتكرر هو حجر الزاوية لرسالة حضرة بهاءالله للبشرية، فهو يعلن باستمرار بأنه جاء ليعلن مجيء يوم الله. فيما يلي نماذج مختارة عشوائياً من بياناته، تكشف عن هذه الميزة البارزة لظهوره الأسمى. وهذه الفقرات ذات الأهمية الفائقة هي سبب نشوة أحبائه وبهجتهم الذين أدركوا مقامه حقاً. ومن ناحية أخرى، يمكن أن يساء فهمها من قبل الذين لم يوهبوا الفهم الحقيقي، أو الذين يدفعهم الحقد، وما أكثر أعدائه الذين فعلاً اتهموه بالباطل على أنه ينسب نفسه إلى الحق الغيب المنيع، ذات الألوهية نفسه.

"الحق أقول، لا أحد يعلم أصل هذا الأمر". "في هذا اليوم على الجميع أن ينظروا بالعين الإلهية ويسمعوا بالأذن الرحمانية. **من ينظرني بعين غيري لن يعرفني أبداً**. لا يعلم أحد من المظاهر السابقين طبيعة هذا الظهور بأكمله **إلاّ على قدر معلوم**."

"إن هذا اليوم يوم عظيم. وهو مذكور ومسطور في الكتب والصحف المقدسة بيوم الله. ومن هذا البيان عظمة هذا اليوم ظاهرة ومشهودة. لقد فدى الأنبياء والرسل بأرواحهم وأنفسهم شوقاً لهذا اليوم المبارك، وتحسّرت لوصاله الملل والأقوام الماضية."

"تالله الحق تلك أيام فيها امتحن الله كل النبيين والمرسلين ثم الذين هم كانوا خلف سرادق العصمة وفسطاط العظمة وخباء العزة."

"هذا يوم فيه فازت الآذان بإصغاء ما سمع الكليم في الطور والحبيب في المعراج والروح إذ صعد إلى الله المهيمن القيوم."

"هذا يوم فيه يقول اللاهوت طوبى لك يا ناسوت بما جُعلتَ موطئ قدم الله ومقر عرشه العظيم."

"أنصفوا يا أهل العالم، أيليق بكم أن تعترضوا على الذي اشتاق الكليم (موسى) لمحضره، وحنّ الحبيب (محمد) لمشاهدة جماله، وصعد روح الله (المسيح) إلى السماء بحبه، وأنفق النقطة الأولى روحه في سبيله؟"

"إنه هو الذي سمي في التوراة بيهوه وفي الإنجيل بروح الحق وفي الفرقان بالنبأ العظيم... لولاه ما أُرسلت الرسل وما نُزّلت الكتب يشهد بذلك كل الأشياء."

في "لوح التجليات" يقر حضرة بهاءالله بأن مجرد ذكر مقامه قد يضطرب له الناس ويملأهم رعباً. ثم يلوح لصاحب اللوح بأن حضرته ما كان ليكشف عن طبيعة مقامه الأعلى لو أن حضرة الباب لم يعلنها مراراً في كتاباته. فيما يلي كلمات حضرة بهاءالله المقتطفة من "لوح التجليات":

"لعمر الله لو لم يكن ما ذكره المبشر لما تكلّم قط هذا المظلوم بما هو سبب اضطراب الجهال وهلاكهم. يتفضل في أول البيان في ذكر من يظهره الله جل ظهوره قائلاً: **الذي ينطق في كل شأن إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا رب كل شيء وإن ما دوني خلقي. أن يا خلقي إيّاي فاعبدون**. وكذلك يتفضل في مقام آخر عند ذكر من يظهر قائلاً: **إنني أنا أول العابدين**. والآن يجب التفكّر في العابد والمعبود، لعل عباد الأرض يفوزون بقطرة من بحر العرفان ويدركون مقام الظهور. **إنه ظهر ونطق بالحق. طوبى لمن أقر واعترف وويل لكل منكر بعيد."**

من الواضح أن الغالبية العظمى من الناس في هذه الفترة من التاريخ لن يتمكنوا من قبول بيانات حضرة بهاءالله بشأن هذا المقام الأعلى. ففي الفقرة أعلاه يؤكد بأن دعوته صارت "سبب اضطراب الجهال"، حتى أن بعض أتباعه ممن لمست أفئدتهم محبته، لكن لم تتوفر لهم فرصة تعميق أنفسهم في حقائق دينه واكتشاف بواطن معاني وحيه، قد يجدون أنفسهم في امتحان شديد كلما مروا على بيانات كهذه

لحضرة بهاءالله تكشف بعض ملامح ظهوره المتعالي التي تبعث على الرهبة والخشوع. وقد يُمتحنون بكيفية مماثلة حينما يقرؤون بيان حضرة الباب، وهو نفسه مظهر إلهي، بأنه يكون "أول العابدين" لحضرة بهاءالله. إن العقل ليتحير عند التأمل بـ"العابد"، حضرة الباب، وهو مظهر إلهي، "النقطة الأولى"، "سلطان الرسل"، "من تطوف حوله حقائق النبيين والمرسلين"، والتأمل بـ"المعبود"، حضرة بهاءالله. وقد لوحظ في الفقرة أعلاه كيف أن حضرة الباب يصفه بأنه: "**الذي ينطق في كل شأن إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا رب كل شيء وإن ما دوني خلقي. أن يا خلقي إيّاي فاعبدون.**" في كتابات حضرة الباب إشارات غزيرة كهذه. في أحد ألواحه يدلي حضرة بهاءالله نفسه ببيان باهر حينما يشهد "**إن الأمر عظيم على شأن كلما يرقم ذكر عظمته يضطرب القلم وينصعق**".

لقد سبق بحث هذا الموضوع -عظمة ظهور حضرة بهاءالله- مراراً وتكراراً في مجلدات سابقة، لكن في كل مرة كان من وجهة نظر مختلفة قليلاً. دعنا في هذه المناسبة نفحص العقبات الرئيسة التي قد تحجب الباحث عن الحقيقة من أن يقدر الطبيعة المتسامية لظهور حضرة بهاءالله ومقامه الرفيع. تبدو هذه العقبات ناشئة عن سوء فهم شيئين. أولهما نسبة حضرة بهاءالله إلى الألوهية. والآخر، التناقض في الظاهر بين الاعتقاد بأن جميع مظاهر الله هم ذات واحدة والقول بأن حضرة بهاءالله هو المظهر الكلي الإلهي.

العلاقة بين الله ومظاهر أمره

فيما يخص المسألة الأولى، ليس هناك أفضل من إيراد شرح حضرة شوقي أفندي حيث يكتب:

ولكن، كلمة تحذير تبدو في هذا المقام جديرة بالذكر لكل من عساه أن يقرأ هذه الصفحات قبل أن أتوسع في شرح ما أنا بصدده. إذ أنه لا يجوز لأي فرد، وهو يتدبر أمر بهاءالله على ضوء ما أوردناه أن يسيء فهم حقيقته أو يؤول ويشوه مقصده. فمظهر الألوهية المنعوت به ذلك الكائن العظيم، وكامل الأسماء والصفات الظاهرة في شخصيته الجليلة يجب أن لا يساء فهمها، ولا أن تحرف عن حقيقتها بأي حال من الأحوال. لأنه إذا كنا مخلصين لديننا فيجب علينا أن نعرف بأن الهيكل الإنساني الذي جُعل واسطة لحمل هذه الأمانة الثقيلة يظل دائماً في مقام هو غير مقام (روح الأرواح) و (جوهر الجواهر) بمعنى أن الله الذي لا يُدرَك ولا يُرى والذي مهما أطلقنا ألسنتنا في ذكر ألوهية مظاهره على الأرض لا يمكن بأي حال أن تتجسد ذاته المنزهة، وأن الغيب البحت المنيع الذي لا يُدرَك لا يمكن أن يحد في حيز كائن فانٍ. ويقيناً أن الله الذي يكون على هذه الصورة من التجسد يجب على ضوء تعاليم بهاءالله أن لا يظل في الحال إلهاً، وأنه لمن السخف والوهم الواضح القول بتجسد الألوهية الذي يغاير ويتنافر مع مبدأ العقيدة البهائية. ولا يقل القول بهذا وهماً عن القول بمبدأ ألوهية الكون غير المقبول. وهذان

المبدآن-التجسد وألوهية الكون- قد أدحضتهما بيانات بهاءالله وبينت فسادهما وبطلانهما.

من الضروري التمييز بين "جوهر الله" -والذي يشير إليه حضرة شوقي أفندي بعبارتي "روح الأرواح" و"جوهر الجواهر"- وبين "ظهور الله" بين البشر. فالأول غيب لا يُعرف، بينما الآخر يمكن للإنسان عرفانه وإدراكه. ونلاحظ في كتابات حضرة بهاءالله بأن المظاهر الإلهية أنفسهم ليس لديهم أية معرفة عن جوهر الله. فيمكن للمرء أن يفهم من هو نظير له أو أقل منه شأناً، لكن يستحيل عليه معرفة كائن من رتبة أعلى. إذاً، لو كان بمقدور المظاهر الإلهية فهم جوهر الله لوجب أن يكونوا مساوين له، وهذا هو الكفر.

في أحد ألواحه يدلي حضرة بهاءالله ببيان قاطع على أن المظاهر الإلهية ليس لهم من سبيل لإدراك جوهر الله، الحقيقة الغيبية. وهذه هي كلماته:

"من الأزل الذي لا يُعرف كان الله محتجباً في حقيقة ذاته العليا، وإنه لا يزال مخفياً يكون إلى الأبد في سر جوهره الذي لا يُعرَف... فقد انصعق عشرات الآلاف من الأنبياء كلٌ كان موسى في سيناء البحث عن صوت الله الناهي 'إنك لن تراني'، بينما في ربوات المرسلين كلٌ كان كالمسيح في عظمته قاموا على عروشهم المقدسة مرتاعين لصوت المنع 'إن كينونتي لن تعرفها'."

وشهد حضرة بهاءالله نفسه في العديد من ألواحه بأنه أيضاً لا يعلم أو يفهم حقيقة كينونة الله. يشهد في واحد منها بقوله:

"ما أعظم حيرتي وأنا لست شيئا مذكوراً، كلما أحاول أن أسبر عمق علمك تذهب جهودي عبثاً عند تصور بدائع صنعك وقدرتك!"

يشير حضرة بهاءالله في إحدى مناجاته الشهيرة إلى نفسه بأنه مشرق آيات الله ومطلع بيناته. ويشهد أيضاً بواسع وعظمة حكمته ورفعة علمه. مع ذلك فإن صاحب مثل هذا المقام العالي يؤكد عجزه عن عرفان جوهر الله. هذه فقرة من مناجاته مع الله:

"وجمالك يا سلطان القدم والمستوي على العرش الأعظم إن مطلع آياتك ومظهر شئوناتك مع بحر علمه وسماء عرفانه اعترف بعجزه عن عرفان أدنى آية من آياتك التي تنسب إلى قلمك الأعلى فكيف ذاتك الأبهى وكينونتك العليا."

نستخلص من هذه وغيرها من كتابات حضرة بهاءالله النتيجة التالية وهي أنه لا يمكن وجود طريق مباشر أو علاقة مباشرة بين من هو جوهر الألوهية وما سواه، بمن فيهم مظاهر أمره، أي ليس هناك باب يؤدي بعباده إلى عرفان مكمن حقيقته. وفي الصلاة الكبيرة المفروضة نتلو أنه أسمى من أن تصله صلوات العباد:

"سبحانك من أن تصعد إلى سماء قربك أذكار المقربين أو أن تصل إلى فناء بابك طيور أفئدة المخلصين. أشهد أنك كنت مقدساً عن الصفات ومنزهاً عن الأسماء لا إله إلاّ أنت العلي الأبهى."

نلاحظ أن الله "مقدس عن الصفات"، فيشهد حضرة بهاءالله في كثير من ألواحه ومناجاته بأن لا يمكن لأحد أن ينسب إلى ذات الحق أية صفة أو صفات تليق حقاً به. ويمكن فهم وقبول ذلك بسهولة، إذ إن كل وصف ينسب لذاته سيكون له أثر تحديدي، وبالتالي ينتفي كونه الله، والذين درسوا الرياضيات وعرفوا مصطلح "اللانهاية" يعلمون استحالة تقييمها بأي عدد، مهما كان كبيراً. ذلك لأنها ستنتفي "لا نهايتها" فور نسبتها إلى أي صيغة أو شيء سواها.

والله هو الذات اللامحدود. وما يوصف به مثل "العليم" و"الحكيم" و"الفريد" وغيرها لا يمكن نسبتها إلى جوهر حقيقة الله وذاته.

يصرح حضرة عبدالبهاء في لوح بأن عدداً كبيراً من الناس أسراء أوهامهم، فهم يقرون بأنهم يعبدون الله، ولو سئلوا أي إله تعبدون لكان الجواب 'الله الذي أتصوره'. ثم يشرح حضرة عبدالبهاء في هذا اللوح بأن كل ما يتصوره الإنسان بعقله عن الله هو مجرد نسيج خياله، وليس الله. ويمضي مؤكداً على أن السبيل الوحيد أمام عقل الإنسان لكي يتصور أو يعقل شيئاً عن مفهوم الله هو بتوجهه إلى مظاهر أمر الله. ويمكن إيجاز شروح حضرة عبدالبهاء بالقول أن عقل الإنسان المحدود لا يمكنه أبداً أن يدرك ويحيط بالله اللامحدود.

في لوح آخر يصرح حضرة عبدالبهاء بأنه حينما نصف الله ببعض الصفات فإننا نفعل ذلك لا في سبيل الرغبة لإثبات أهلية الله واتصافه بهذه النعوت العليا –نعوت تتجاوز عرفاننا- بل لنفي افتقاره لها. ففي لوحه إلى الدكتور فوريل، يصرح حضرة عبدالبهاء بقوله:

"أمّا عن الصفات والكمالات مثل الإرادة والعلم والقدرة ودونها من الصفات القديمة التي ننسبها إلى حقيقة الألوهية، فإنها مقتضيات مشاهدة آثار الوجود في حيز الشهود وليس الكمالات الحقيقية لذات الله نفسه والذي لا يمكن إدراكه وفهمه. فمثلاً، عندما ننظر في الكائنات نلاحظ هناك كمالات لا متناهية في صنعها وفي منتهى الانتظام والكمال فنستنتج أن القدرة القديمة التي تعتمد عليها هذه المخلوقات في وجودها لا يمكن أن تكون جاهلة، لذا نقول بأن الله "عليم". كذلك من المؤكد أن ليس بعاجز، بل يجب أن يكون قديراً، وليس بفقير، فيجب بالبداهة أن يكون غنياً، ولا يمكن أن يكون معدوماً، فينبغي أن يكون موجوداً. والمقصود من كل هذا هو تبيان أن هذه النعوت والكمالات التي نعددها أو ننسبها لتلك الحقيقة الكلية إنما هي في الواقع لسلب النقائص عنه، لا لتثبيت كمالاته التي لا طاقة لعقل الإنسان بتصورها. بناء عليه نقول إنه مجهول النعت.

والله المنزه عن الصفات في ملكوت ذاتيته، يتجلى في ملكوت أمره وظهوره. في هذا الملكوت تظهر جميع صفات الله، كما أن من هذا الملكوت تُبعث جميع المظاهر الإلهية. فهذه الذوات القدسية، مظاهر الله، هم حملة صفات الله. وبهذه

الواسطة تظهر للبشر كل الصفات الفائقة مثل "المقتدر والقاهر فوق كل شيء" و"العليم" و"المجيد" وغيرها من الصفات مما تنسب لله المتجلي للإنسان. وقد يُلاحظ بأن في جميع الكتب السماوية وفي الكتابات البهائية، أن مظاهر أمر الله، مؤسسي الأديان العالمية، كانوا جميعاً مهابط الروح القدس، وبواسطة فيوضات الروح القدس قاموا في كل عصر على إظهار الصفات الإلهية لعالم الإنسان.

ومنذ أيام بعثة حضرة بهاءالله الأولى وهو في سجن سياه چال صرح حضرته بشكل قاطع أن "روح الله الأعظم" تجلى له. ويتضح من دراسة كتاباته بأن تلك الروح لم تفارقه، بل كانت في كل أيام ولايته مصدر حيويته وإلهاماته. يؤكد في "سورة الهيكل" بأن الروح القدس المنكشف للمرسلين من قبل قد خُلق بواسطة هذا "الروح الأعظم". وهذه هي كلماته:

"قل لا يُرى في هيكلي إلاّ هيكل الله ولا في جمالي إلاّ جماله ولا في كينونتي إلاّ كينونته ولا في ذاتي إلاّ ذاته ولا في حركتي إلاّ حركته ولا في سكوني إلاّ سكونه ولا في قلمي إلاّ قلمه العزيز المحمود، قل لم يكن في نفسي إلاّ الحق ولا يُرى في ذاتي إلاّ الله... قل إن روح القدس قد خلق بحرف مما نزل من هذا الروح الأعظم إن كنتم تفقهون."

إذاً فالروح الأعظم هو موجد روح القدس والمجلّي بصفات الله بين البشر، وبه نزلت كل الظهورات وخلقت الموجودات. وهذا الروح الأعظم، الذي كان موجوداً

أزلاً ويبقى موجوداً دائماً، لم يتجلَ للبشرية مباشرة من قبل. فإن الله قد انتظر ملايين السنين حتى يبلغ الإنسان في تطوره الروحي والعقلي إلى مقام يؤهله لقبول هذا الظهور الأعظم. وقد أعلن حضرة بهاءالله بأن هذا كان حقاً قصد الله في خلق الإنسان، وأنزل في أحد الألواح:

"الهدف من الخليقة هو ظهور هذا اليوم الأمنع الأقدس المعروف بيوم الله في الكتب والصحف والزبر الإلهية. يوم كان رجاء وأمل الأنبياء والمرسلين والأصفياء والأولياء المقربين."

في الدورات السابقة كان وحي الله يتجلى بنحو غير مباشر بوساطة الروح القدس. لكن في هذه الدورة كشف الروح الإلهي الأعظم وتجلى للمرة الأولى إلى حضرة بهاءالله مباشرة مفتتحاً بذلك يوم الله. إن النقطة الأكثر أهمية التي يمكن أن تساعد على توضيح أي سوء فهم حول مقام حضرة بهاءالله هي التمييز بين هيكله البشري والروح الأعظم الذي تجلى فيه. عندما نشير إلى حضرة بهاءالله فإننا لا نشير إلى وجوده البشري بل الروح الأعظم المتجلي فيه، وحينما ينطق فالكلمات ليست كلماته، بل تصدر عن وحي الروح الأعظم الذي يتكلم بلغة الإنسان من خلال شخص حضرة بهاءالله. وغالباً ما تطالعنا كلمات حضرة بهاءالله في قوله "إنني أنا الله". وفي عدة مواضع نجده يصرح بأن كل الوجود قد خلق بكلمة من عنده، أو يعلن بأنه هو الذي أرسل جميع الرسل في الماضي. والفقرة التالية مثال نموذجي على ذلك:

"لولاه [حضرة بهاءالله] ما أُرسلت الرسل."

ما من واحد من هذه البيانات قد صدر عن شخص حضرة بهاءالله، بل إنها تمثل صوت الله الذي يخاطبنا من خلال هيكل إنسان. وقد عبّر حضرة بهاءالله نفسه عن هذه الظاهرة بهذه الكلمات:

"يا إلهي إذا أنظر إلى نسبتي إليك أحب بأن أقول في كل شيء بأنني أنا الله وإذا أنظر إلى نفسي أشاهدها أحقر من الطين."

من كل هذه التفسيرات يجوز للمرء أن يستنتج ان عظمة ظهور حضرة بهاءالله ومجده الرفيع يرجع أصلاً لتجلي الروح الأعظم مباشرة له. فلم يسبق أبداً أن بعث الله مظهر روحه الأعظم لبني الإنسان، مظهره الكلي، أو المظهر العالمي الذي ظهر باسمه الأعظم، بهاء.

وأفاد حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، عن طريق سكرتيره، بالشرح التالي:

"يُقصد بالاسم الأعظم أن حضرة بهاءالله قد ظهر باسم الله الأعظم، أي بعبارة أخرى أنه مظهر الله الأعظم... وليس هناك، حتى الآن، من الأنبياء من هم بمرتبة حضرة بهاءالله نفسها، إذ إنه يجلس على ذروة دورة (رسولية) عظمى ابتدأت بآدم."

على الرغم من وجوب التمييز بين الروح الذي تجلى لحضرة بهاءالله وبين شخصه نفسه، مع الحذر لئلا تُنسب عظمة ظهوره لهيكله البشري، إلاّ أنه من الواضح بأنه لا يمكن إهمال شخصيته الإنسانية كلياً. بل على العكس من ذلك، فإن الهيكل الإنساني الذي أصبح مهبطاً لروح بهذه العظمة، يتحرك ويتصرف وفق جلال الله وسلطنته. لأن إشعاع قدرة الله وإرادته المهيمنة تكون قد نفذت في كل ذرة من ذاته بحيث تنعكس في كل حركة وتصرف عنه آثار قدرة الله. والذين أوتوا بصيرة روحية يمكنهم أن يروا في كل حركة تصدر عن مظهر الله صفات الله بنحو واضح، فتكون أفكاره وكلماته وأعماله جميعاً مستوحاة لا من نفسه البشرية بل من الروح الإلهية.

فيما يلي كلمات الحاج ميرزا حيدر علي، الذي وردت بشأنه إشارات عديدة في هذا المجلد والمجلدات السابقة، يصف فيها ملاحظاته الشخصية عن حضرة بهاءالله:

"ولو أن شخصه المبارك كان بهيئة إنسان، لكن نفس حركاته وتصرفه وكيفية جلوسه ووقوفه، أكله وشربه، بل حتى نومه ويقظته، كل منها معجزة بالنسبة لي. ذلك لأن ما رأيت فيه من كمالات وخلق رفيع وجمال وعظمة وأرفع الألقاب وأسنى الصفات كان قد كشف لي بأنه لا شبه ولا ند له. بل كان بلا مثيل ولا شريك له... رأيت شخصاً كان كأي إنسان آخر من الناحية البشرية. لكن لو استطعنا جمع حب كل الناس في العالم ورحمتهم وشفقتهم لكانت مثل قطرة بالمقارنة مع محيط رقيق رحمته وألطافه. **بل أستغفر الله** بهذه المقارنة. كذلك لو أمكن جمع

كل المعارف والعلوم والصنائع والفلسفة والتاريخ الطبيعي واللاهوت لدى كل البشر جميعهم، فإنها ستبدو، بالمقارنة مع علمه وإدراكه، كذرّة مقارنة بالشمس. كذلك لو أمكن حصر عزة الملوك والحكام والأنبياء والرسل وقوتهم جميعهم مقابل قدرته وسيادته وعظمته وجلاله وملكه ومجده، فإنها تبدو بصغر قطرة تجاه مياه البحر... وكلما راقبت كل واحدة من صفاته، أدركت عجزي عن تقليدها، وتيقنت بأن كل أهل العالم لن يقدروا أبداً بلوغ كمالاته."

فجر العصر الجديد

إن السبب الآخر في سوء فهم مقام حضرة بهاءالله يكمن في التناقض الظاهري بين كونه "المظهر الكلي"، ومبدأ مساواة جميع المظاهر الإلهية ووحدتهم. ولأجل أن يقدّر القارئ هذه النقطة يُنصح بدراسة "كتاب الإيقان"، الذي يوضح فيه حضرة بهاءالله الفرق بين مظاهر الله على أنه في شدة سطوع نور رسالتهم ووحيهم.

أنزل حضرة بهاءالله في "لوح التجليات" ما يلي:

"شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والذي أتى إنه هو السر المكنون والرمز المخزون والكتاب الأعظم للأمم وسماء الكرم للعالم. وهو الآية الكبرى بين الورى ومطلع الصفات العليا في ناسوت الإنشاء. به ظهر ما كان مخزوناً في أزل الآزال ومستوراً عن أولي الأبصار. إنه هو الذي بشرت بظهوره كتب الله من قبل ومن بعد. من أقر

به وبآياته وبيناته إنه أقر بما نطق به لسان العظمة قبل خلق الأرض والسماء وقبل أن يظهر ملكوت الأسماء. به ماج بحر العلم بين الأنام وجرى فرات الحكمة من لدى الله مالك الأيام."

لقد وهب ظهور حضرة بهاءالله الجنس البشري قدرات جديدة وأسبغ عليها إمكانات ضخمة، ففي الفقرة أعلاه يقرر حضرة بهاءالله بأن به قد **ظهر ما كان مخزوناً في أزل الآزال ومستوراً عن أولي الأبصار**. عندما ننظر إلى الوراء ونلاحظ تقدم البشرية على مر العصور يمكننا أن نرى بوضوح أن مجيء كل مظهر إلهي تزامن مع انتهاء الدورة السابقة التي يسدل عليها الظلام. ولكن دورة حضرة بهاءالله تختلف من حيث أنها استخرجت كل ما كان مخفياً عن الإنسان بسبب افتقاره للإمكانات في الماضي.

تزامن فجر هذا العصر الجديد مع ظهور حضرة الباب وحضرة بهاءالله. وهذه الظاهرة مماثلة لانبلاج الفجر الذي يمحو ظلمة الليل. فأثناء الليل لا يمكن لأحد أن يرى ويكون الجميع نياماً، لكن بطلوع النهار تبصر الأعين وتتضح الأشياء. وهكذا كان الحال مع فجر هذا العصر الجديد، الذي وقع في منتصف القرن التاسع عشر واستنارت به عقول الناس وأفئدتهم. وبينما اعتادت جماهير الناس في سالف الأزمان السير وراء قادتها بشكل أعمى تقريباً، صاروا الآن يرون الأمور بأنفسهم ويفكرون بشكل مستقل، فقد ولّى الليل وبزغ نور الصباح. وباستمرار عملية التنوير هذه صار الناس ينظرون للحياة وكل ما يتصل بها بعين ناقدة. بطبيعة الحال تمخض عن ذلك تعدد الأفكار

وتصادم بين الآراء المتباينة، وانقسمت الأديان إلى مئات من الطوائف بينما ترك الكثيرون الدين كلية وانضموا إلى صفوف المنكرين والملحدين المتزايدة. بالوقت نفسه نشأت عدة أنظمة سياسية واجتماعية متضاربة وظهرت فلسفات كثيرة مثيرة للجدل وترسخت في جميع أنحاء العالم.

إن هذه التطورات الباعثة على الانقسام في مجالات الدين والسياسة والشؤون الاجتماعية تهدد بإغراق الجنس البشري في هاوية سحيقة وخطيرة. من ناحية أخرى، حدث هناك تفجر في ميدانَيْ الفنون والعلوم في هذا العصر الجديد مما يبشر بمولد عهد تتضافر فيه القوى الروحية والمادية لخلق حضارة جديدة حسنة الاتزان وعالمية الشمول. إن هذه المظاهر من الأنشطة البشرية، على ما ترتب عليها من تبعات بناءة أو هدامة، لم تشهد مثلها عصور الماضي وترجع أصلاً لإشراق شمس الحقيقة في هذا العصر الجديد.

لكن عموم أهل العالم، رغم هذا الإشراق، لم يهتدوا بعد لمصدر هذه الإضاءة. نعود هنا لمثل الليل المظلم وظهور الفجر، ويمكننا رؤية التشابه الكبير بين محنة الإنسانية اليوم، ومصير أولئك المنزوين في غرفهم إذ طلع الفجر وأنار. فهم يشهدون آثار النور فيما حولهم لكنهم قد لا يهتدون لرؤية الشمس بسبب الأبواب المغلقة والستائر المسدلة. أمّا الحجبات التي تحول بين الناس ورؤية شمس الحقيقة فكثيرة ومتنوعة. فهناك حجاب المعرفة والفخر والخيلاء، والتقاليد الموروثة التي تستعبد الناس عادة، وكذلك الأشكال المختلفة من التعصبات، والتلقين الديني

وغيرها الكثير - كل هذه الحجبات تعمل بمثابة عوائق تمنع الإنسان من الإقرار والاعتراف بأن ظهور حضرة بهاءالله هو مصدر ما يجري من تطورات في عالم البشرية في هذا العصر. وما لم يرفع المرء هذه الحجب وما لم يبذل سعياً جاداً للبحث عن الحقيقة، لا يمكنه أن يوقن بقرارة قلبه بأن حضرة بهاءالله، وليس أحد سواه، هو الذي ابتدأ هذه العملية من التغيير الجذري في العالم كما يشهد هو نفسه في "الكتاب الأقدس" بهذه الكلمات:

"قد اضطرب النظم من هذا النظم الأعظم واختلف الترتيب بهذا البديع الذي ما شهدت عين الإبداع شبهه."

العرفان والاستقامة

يصرح حضرة بهاءالله في "لوح التجليات" بأنه لا يمكن لأحد أن يعرف الله إلاّ بواسطة حضرته. في كثير من كتاباته توجد تصريحات مماثلة، هذه هي كلماته في هذا اللوح:

"التجلي الأول الذي أشرق من شمس الحقيقة هو معرفة الله جل جلاله. ولا تتحقق معرفة سلطان القدم إلاّ بمعرفة الاسم الأعظم. إنه مكلم الطور الساكن

والمستوي على عرش الظهور وإنه هو الغيب المكنون والسر المخزون. بذكره تزينت الكتب الإلهية من قبل ومن بعد وبثنائه نطقت. **به نصب عَلَمُ العِلم في العالَم وارتفعت راية التوحيد بين الأمم**. لا يتحقق لقاء الله إلاّ بلقائه. به ظهر ما كان مستوراً ومخفياً من أزل الآزال. **إنه ظهر بالحق ونطق بكلمة انصعق بها من في السموات والأرض إلاّ من شاء الله**. لا يكون الإيمان بالله وعرفانه كاملاً إلاّ بتصديق ما ظهر منه وكذلك العمل بما أمر به وبما نزل في الكتاب من القلم الأعلى."

إن عبارات "الاسم الأعظم" و"مكلم الطور" و"الغيب المكنون" و"السر المخزون" الواردة في الفقرة أعلاه تشير جميعها إلى حضرة بهاءالله. من تعاليم حضرته الأساسية هو أنه لا يمكن للإنسان أن يعرف الله مباشرة، والسبيل الوحيد المتاح أمامه لعرفانه جل جلاله هو بمعرفة مظاهره. في "كتاب الإيقان" أسهب حضرة بهاءالله الشرح وتبيان هذا الموضوع.

كذلك تم بحث موضوع "لقاء الله" من قبل حيث شرحه حضرة بهاءالله مؤكداً بأنه يتحقق بالفوز بمحضره ولقائه.

ومن المثير للاهتمام ملاحظة عبارة حضرة بهاءالله: "**إنه ظهر بالحق ونطق بكلمة انصعق بها من في السموات والأرض**". في لوح آخر يورد عبارة مماثلة ويكشف بأن تلك الكلمة المعنية هي استبدال كلمة "هو" بـ"أنا".

موضوع آخر يوليه حضرة بهاءالله أهمية كبرى في كتاباته هو الاستقامة على أمر الله. وهذه هي كلماته في "لوح التجليات":

"التجلي الثاني هو الاستقامة على أمر الله وحبه جل جلاله. وهذا لا يتحقق إلاّ بالمعرفة الكاملة ولا تتحقق المعرفة الكاملة إلاّ بالإقرار بكلمة **يفعل ما يشاء** المباركة. كل نفس تمسّك بهذه الكلمة العليا وشرب من كوثر البيان المودع فيها شاهد نفسه مستقيماً على شأن لا تمنعه كتب العالم عن أم الكتاب. **حبّذا هذا المقام الأعلى والرتبة العليا والغاية القصوى**."

ينمو أمر الله بشكل مطرد منذ ظهوره. في الوقت نفسه، كان وما زال يواجه معارضة مستمرة واضطهاداً شنيعاً. أمّا وأنه قد بقي حياً، بل ازدهر في الواقع، على الرغم من مواجهة الاضطرابات الخطيرة في مسار تاريخه، فيعزى ذلك جزئياً للحماية الإلهية التي شملته، وأيضاً لصمود أتباعه. إن روح التضحية بالنفس البطولية التي أظهرها الآلاف من شهدائه والنفوس المقدسة من أتباعه وعلمائه ومبلّغيه وإداريه، إنما تدلل على إيمان لا يتزعزع ويقين لم يسبق له مثيل في تاريخ الأديان. فلولا صمود أتباع حضرة الباب وحضرة بهاءالله في مواجهة الاعتداءات الوحشية والاضطهاد، لما تمكنت الجامعة البهائية من تحقيق انتصارات مدهشة كهذه في غضون فترة زمنية قصيرة جداً.

إن استقامة المؤمن تعتمد على مدى اعترافه بمقام حضرة بهاءالله، والذين بلغوا حقاً قمة الإيمان واليقين فإنهم يصبحون مستقيمين في أمر الله بحيث تتحقق فيهم شروطها الواردة في "لوح أحمد":

"وكن مستقيماً في حبي بحيث لن يحول قلبك ولو تُضرب بسيوف الأعداء ويمنعك كل من في السموات والأرضين."

ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن حضرة بهاءالله يعد في هذا اللوح نفسه بما يلي:

"فوالله من كان في شدة أو حزن ويقرأ هذا اللوح بصدق مبين يرفع الله حزنه ويكشف ضره ويفرج كربه."

كثيراً ما يتساءل الناس عن كيفية تلاوة هذا اللوح بصدق مبين. ويمكن القول أن الصدق المبين في تلاوته يحصل حينما يكون القارئ قد وصل حقاً إلى مستوى من الإيمان واليقين بحيث لن يحول قلبه ولو يضرب بسيوف الأعداء. في أحد ألواحه يصرح حضرة بهاءالله بأن المرء سوف يصبح مستقيماً على أمر الله عندما يوقن في قلبه أن لا حاجة له للإقبال إلى أي دين سوى هذا الظهور الأعظم.

إن أحد تعاليم حضرة بهاءالله هو تحري الحقيقة بشكل مستقل. لكن هناك من يسيئون فهم هذا المبدأ الهام على أنه يعني الاستمرار في البحث عن الحقيقة حتى بعد اكتشافها في ظهور حضرة بهاءالله والاعتراف به مظهراً إلهياً، عسى أن يجدها من

مصدر آخر. إن موقفاً كهذا ليشير إشارة واضحة إلى أن هذا الشخص لم يكتشف الحقيقة في المقام الأول، وأنه لم يصل إلى مرحلة من الاطمئنان في إيمانه. من ناحية أخرى، فإن الذي وجد الحقيقة لم يبلغ نهاية رحلته، فطالما يستمر الإنسان في حياته هناك مجال لتحقيق فهم أفضل وأعمق للحقيقة التي عثر عليها.

يصف حضرة بهاءالله في "الوديان السبعة" كيف ينتقل ابن السبيل من مرحلة إلى أخرى. وهي تبدأ بوادي البحث حيث يجتهد المرء في بحثه للعثور على الحقيقة. عندما يجد مبتغاه يقصد ودياناً أخرى، مثل وادي العشق والمعرفة وبقية الوديان. أمّا أن يظلّ في وادي البحث فهو علامة واضحة على فشله في العثور على الحقيقة، فالاعتراف بمظهر أمر الله يجب أن يعقبه الثبات على عهده وميثاقه، أي يعني ببساطة إطاعة مركز عهد أمر الله والعمل بما نزل من أحكام وتعاليم.

عندما ندرس الطبيعة البشرية فإننا نلاحظ أن هناك قوّتين داخل الإنسان تعملان دوماً عكس بعضهما. إحداهما هي قوة الطبيعة الحيوانية والتي تميل إلى جرّه إلى أسفل في المملكة الحيوانية، والأخرى هي قوة الطبيعة الروحية التي تسمو به إلى التقرب من الله. لعل الإنسان في ذلك أشبه بالطائرة التي تخضع هي أيضاً إلى تأثير قوّتين متعارضتين. الأولى هي قوة الجاذبية التي تميل إلى جذب الطائرة نحو الأرض، والثانية قوة محرك الطائرة التي تعمل على رفعها إلى الأعلى. في حين تعمل الأولى باستمرار ودون جهد على سحب الطائرة إلى الأسفل، نجد الثانية تعمل فقط

عندما يكون محرك الطائرة في وضع التشغيل. فطالما بقي المحرك دائراً تبقى الطائرة محلقة في الجو. وبمجرد أن يتوقف، تبدأ قوة الجاذبية بسحب الطائرة إلى أسفل.

هناك تماثل مدهش بين الطائرة وأداء الإنسان، فالطبيعة الحيوانية مماثلة لقوة الجاذبية، وهي موجودة دائماً ويمكنها أن تحط، بسرعة ويسر، من شأن الفرد ومقامه إلى رتبة الحيوان وما أدنى منها. أمّا الطبيعة الروحية، لو سمح بممارسة نفوذها، فبإمكانها أن ترفعه إلى آفاق روحانية عظيمة مثلما يفعل محرك الطائرة برفعها عن الأرض. يحدث هذا الرقي والنمو الروحي عندما يعترف الفرد بمظهر أمر الله ويكتسب الإيمان والاطمئنان.

ولو أن الإيمان بحضرة بهاءالله يرقى بالنفس روحياً، إلاّ أنه لن يكون كافياً بالنسبة للفرد للتغلب على العديد من الاختبارات والتجارب التي يواجهها في الحياة. بل هناك خطوة هامة أخرى يجب اتخاذها بعد الاعتراف بمقام حضرة بهاءالله واعتناق دينه. ولتوضيح هذه النقطة قد نستخدم مَثَل الطائرة مرة أخرى، إذ بإمكانه إلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع. إن المحرك القوي لن يضمن بالضرورة هبوطها بسلام عند نهاية رحلتها. إن أجهزة الملاحة التي تستلم باستمرار إشارات من مصدر إرسال مركزي هي التي توجه الطيار لقيادتها خلال الرحلة. وعليه فإن سلامة الطائرة وهبوطها في وجهتها يعتمدان على الطيار الذي يجب عليه إطاعة الإشارات التي تصله من مركز التحكم دون تردد.

وثمة حالة مماثلة تواجه المؤمن بحضرة بهاءالله . فالإيمان وحده بمظهر أمر الله ليس كافياً، وما هو مطلوب بالإضافة إلى ذلك هو الاستقامة على العهد والميثاق، وهي عبارة يتلخص معناها بالتوجه إلى مركز أمر الله وإطاعة هدايته. في أيام حضرة بهاءالله كان هو مركز أمر الله الذي يتوجه إليه الأحباء، ومن بعده توجهوا إلى حضرة عبدالبهاء مركز عهده وميثاقه، ثم إلى حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، واليوم إلى بيت العدل الأعظم. إن التوجه إلى مركز أمر الله، باعتباره مصدر هداية معصوم، يمكّن المؤمن من حماية نفسه من كثير من العثرات في حياته، ومثل الطيار في التشبيه أعلاه وإطاعته لإرشادات مركز الملاحة، وبلوغ مقره الروحي في عوالم الغيب المنيع .

في "لوح التجليات" يفرض حضرة بهاءالله على كل واحد اكتساب الفنون والعلوم، لكنه يستثني منها تلك التي تبدأ بالكلام وتنتهي بالكلام. ويؤكد حضرته ذلك مراراً في ألواحه وسنبحثه لاحقاً.

"كتاب ظهور حضرة بهاءالله، أديب طاهرزاده، المجلد ٤"